OPEN ACCESS
Received: 29 -11 -2024
Accepted: 11- 02-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Implicit Utterances in Aḥmad Shawqī's Poetry for Children and Adolescents: A Pragmatic Approach

Dr. Zahrāʾ Ḥussein Muqrī *
Zhmaqri@pnu.edu.sa

Abstract

This paper investigates the hidden or implied meanings in Aḥmad Shawqī's poetry aimed at young audiences by applying a pragmatic framework that centers on how language functions in context. By analyzing contextual indicators, shared knowledge, and inferential processes, the study shows how Shawqī's communicative intent aligns with his readers' competence to generate specific effects. After defining the genre of children's and adolescent poetry, the research reviews foundational pragmatic concepts—speech acts and implicit utterances—and the tools for discourse analysis in an introduction, a preface and three sections. In its applied section, the paper examines selected poem samples to illustrate how Shawqī skillfully uses both direct and indirect speech acts, as well as vivid similes and metaphors, to persuade and engage, all while accommodating the evolving cognitive and perceptual awareness of children and adolescents.

Keywords: Implicit Utterances, Pragmatics, Persuasion, Shawqī's Poetry, Children and Adolescents.

* Faculty Member, Department of Arabic Language, College of Humanities and Social Sciences, Princess Nourah bint ʿAbdulraḥmān University, Saudi Arabia.

Cite this article as: Muqrī, Z. Ḥ. (2025). Implicit Utterances in Aḥmad Shawqī's Poetry for Children and Adolescents: A Pragmatic Approach, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(2): 46 -67. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2547

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2024/11/29م
تاريخ القبول: 2025/02/11م

الأقوال المضمرة في شعر أحمد شوقي الموجّه للأطفال واليافعين، مقاربة تداولية

د. زهراء حسين مقري *
Zhmaqri@pnu.edu.sa

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الأقوال المضمرة في قصائد أحمد شوقي الموجهة للأطفال واليافعين؛ وذلك بتحليل الإستراتيجيات اللغوية وفق وجهة نظر تداولية، وتهتم بدراسة اللغة الشعرية في سياق التخاطب؛ للوصول إلى المعنى، وإحداث الأثر المناسب لدى المتلقي، بحسب قصد الشاعر، وانطلاقًا من الكفاءة التواصلية لطرفي الخطاب لتأويل مضمر الخطاب في قصائد أحمد شوقي، وآليات التحليل التداولي الممثلة في المعطيات السياقية، والمعارف الخلفية، والاستدلال؛ فإنها تتضافر معًا لتأويل المعاني المضمرة وفقًا لسياق التخاطب، ومقصدية كل من الشاعر والنص الشعري؛ لتحقيق التواصلية التي ينتج عنها إظهار المعنى المقصود. وقد اتبعت الدراسة المنهج التداولي، وتم تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين: فالتمهيد، يحدد مفهوم الشعر الموجه إلى الأطفال واليافعين، والمبحث الأول: يحدد مفهوم التداولية، وأفعال الكلام، ومفهوم القول المضمر، وآليات الدرس التداولي في تحليل الخطاب، كالمعطيات السياقية والمعارف الخلفية والاستدلال. والمبحث الثاني (تطبيقي) يتناول الأقوال المضمرة في نماذج مختارة من شعر أحمد شوقي الموجه للأطفال واليافعين. وتوصل البحث إلى أن الشاعر، بصفته مخاطِبًا، استطاع إقناع المتلقي بعدة تقنيات لغوية، منها: الأفعال الكلامية، مباشرة كانت، أو غير مباشرة، بالإضافة إلى الصور التشبيهية والاستعارية، التي يعتمد عليها المتكلم بهدف الإقناع، الناتج عن وجود تشابه معين؛ مراعيًا طبيعة الوعي والإدراك المتشكِّلَين لدى الأطفال واليافعين.

الكلمات المفتاحية: الأقوال المضمرة، التداولية، الإقناع، الشوقيات، الأطفال واليافعين.

* عضو هيئة التدريس، قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الأميرة، نورة بنت عبد الرحمن، المملكة العربية السعودية.

شكر وتقدير: أُنجِز هذا البحث بدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة في المملكة العربية السعودية، تحت مظلة كرسي أدب الأطفال واليافعين، بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، فلهم مني أسمى كلمات الشكر والتقدير.

للاقتباس: مقري، ز. ح. (2025). الأقوال المضمرة في شعر أحمد شوقي الموجّه للأطفال واليافعين، مقاربة تداولية، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(2): 46-67. https://doi.org/10.53286/arts.v7i2.2547

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

المقدمة:

يُعدّ الخطاب الأدبي الموجّه إلى الطفل واليافع ميدانًا خصبًا في اللسانيات الحديثة، لا سيما التداولية التي تُعنى بعناصر العملية التواصلية، وتحديدًا الأقوال المضمرة التي تعدّ ركيزة من ركائز التداولية، وهو أحد المفاهيم التي ترصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة؛ ويمكن عن طريقه الكشف عن مقاصد المتكلم المضمرة، واستجلاء الحاجات النفسية والجمالية للأطفال واليافعين، واستبانة السلوك الاجتماعي، ومعالجته؛ فينهض بالجمع بين الدلالة الظاهرة الملفوظة، والدلالة المضمرة للمتكلم.

والشعر هو ديوان العرب، وذروة سنام النتاج الإبداعي العربي؛ فقد أبدعت أقلام رواده، وأطربت وتراءت على صفحات نتاجهم صور حية معبرة عن الحياة العربية المعاصرة بمختلف صورها؛ وبحجم هذا الحضور الإبداعي ينبغي أن يواكب الحضور النقدي ذلك التسارع.

ومن هنا ارتأت الباحثة الاشتغال على هذا النتاج الشعري ممثلًا في نتاج أحمد شوقي الموجه للأطفال واليافعين؛ رغبة في سد الثغرات، واستنطاق النصوص بغية تأويلها، والولوج إلى مكامنها، وسبر أغوار علاماتها، عن طريق الوقوف على الأقوال المضمرة.

وستجيب هذه الدراسة عن السؤال التالي: ما الطرق التي استعملها أحمد شوقي في خطابه الشعري الموجه للأطفال واليافعين لإضمار مقصده القولي؟

وتهدف أيضا إلى الكشف عن الأقوال المضمرة في شعر أحمد شوقي الموجه للأطفال واليافعين، وفق آليات الدرس التداولي في تحليل الخطاب.

وينتظم هذا البحث بعد المقدمة في تمهيد ومبحثين، فالتمهيد، يحدد فيه مفهوم الشعر الموجه إلى الأطفال واليافعين، والمبحث الأول: يحدد فيه مفهوم التداولية، وأفعال الكلام، ومفهوم القول المضمر، وآليات الدرس التداولي في تحليل الخطاب، كالمعطيات السياقية والمعارف الخلفية والاستدلال. والمبحث الثاني (تطبيقي) يتناول الأقوال المضمرة في نماذج مختارة من شعر أحمد شوقي الموجه للأطفال واليافعين.

وهناك الكثير من الدراسات التي تناولت النتاج الشعري بالدراسة والتمحيص من وجهة نظر تداولية، ولكن دون تخصيص دراسة لشعر أحمد شوقي من الزاوية التي أرغب إلقاء الضوء عليها، وهذا ما دفعني إلى هذه الدراسة.

التمهيد:

مفهوم شعر الأطفال واليافعين:

يرى التربويون وعلماء نفس الطفولة أن الطفولة تمتد لعدة مراحل، هي: مرحلة ما قبل الميلاد، ومرحلة المهد، ثم الطفولة المبكرة، والطفولة المتأخرة، ثم مرحلة المراهقة، وقد عرف علماء النفس مرحلة اليفْع بأنها مرحلة الاقتراب من النضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي للطفل، وتمتد هذه المرحلة من سن العاشرة حتى الرابعة والعشرين عامًا، بينما يرى آخرون أنها تبدأ عند الرابعة عشرة وتنتهي في سن التاسعة عشرة.

وبناء على هذا التقسيم يتخصص شعر الأطفال واليافعين؛ فهو خطاب أدبي موجه إلى هذه الفئة العمرية بمراحلها المختلفة، عبر نصوص شعرية، تجري عليها قوانين شعر الكبار من تعريفات ومفاهيم، غير أن الشعر الموجه للأطفال واليافعين يتسم بخصوصية تضبط المبدعين في هذا المجال، وتجعلهم في حالة وعي بالمراحل العمرية التي يمر بها الأطفال واليافعون، والموضوعات التي يتجاوبون معها، إضافة إلى مراعاة الجوانب التربوية والنفسية (جلولي، 2008، ص 141-144).

إن طبيعة التواصل اللغوي مع هذه الفئة تستلزم آليات تتواءم مع طبيعتهم؛ ليتمكن المبدع من الولوج إلى وجدانهم، وعقولهم، بغرض التأثير فيهم وإقناعهم بمقصديته، وإيصال رسالته إليهم في إطار شعري، يحمل دلالات مضمرة، يمكن لهم إدراكها، ولعل مما يسهل تلقيها، وفهم مقصديتها تلك الموسيقا الشعرية، التي تنجذب إليها النفس، فتعلق بالذاكرة، وتنفذ إلى الوجدان، فيستطيع المبدع أن يمرر عن طريقها مقاصده التأثيرية والإقناعية.

وهنا يبرز سؤالان ملحان، وهما:

هل نوجه النص الشعري للأطفال ليكون هدفًا بحد ذاته، أو نكتبه ليكون وسيلة لغرس القيم التربوية؟

وهل يمكن تحقيق المعادلة الصعبة بين الفن والحياة في هذا النص؛ فنحقق بذلك الغرضين معًا؟

إن من البدهي أن تكون الإجابة بأن الغرضين يجب أن يتحققا معًا، وبشكل متوازن ومنسجم، ولا يمكن أن يضطلع بهذا الدور إلا شاعر متمكن من أدوات فنه أولا، ولديه خلفية معرفية بعوالم الطفولة من الناحيتين الفنية والتكوينية، وبذلك يستطيع أن يقدم شعرًا لا تغلب فيه الصياغة الفنية على القيمة، ونتيجة لهذه الخصوصية في الشعر الموجه للأطفال واليافعين ذهب بعض النقاد والمشتغلين بأدب الأطفال إلى أن الشعر الموجه إلى هذه الفئة صعب المنال، وتكمن هذه الصعوبة في أن المبدع يجب أن يستحضر في ذهنه كثيرًا من الأدوات قبل الكتابة، وفي مقدمتها مراعاة النواحي النفسية، والعمرية، واللغوية، والفكرية، والاجتماعية، وغيرها من السياقات (جلولي، 2008، ص 143، 144).

ومن هذا المنطلق فإن النقاد يرون أن جودة الشعر الموجه إلى الأطفال "هو الذي يمزج الخبرات، ويربط بين تجربة الطفل والشاعر؛ وهو لذلك يربط بين عواطف الأطفال وأفكارهم، ويثير فيهم ما يتضمنه من صور شعرية، وانطباعات فنية واستجابات عاطفية. وحتى ينجح شاعر الأطفال، لابد أن يمزج تجربته الشعرية بواقع الأطفال واليافعين؛ فتكون لغته الشعرية واضحة، وموضوعه ذا هدف ومغزى.

ولا مكان في شعر الأطفال للمثيرات الحادة مثل الرثاء، والهجاء والكراهية أو القسوة العنف، أما المجازات والكنايات والإشارات الضمنية في شعر الأطفال؛ فيجب أن تكون محدودة، وتقع في نطاق تجاربهم (جلولي، 2008، ص 178، 179).

ويشيرون أيضا إلى أن الموسيقا والأناشيد تنمّي لدى الطفل واليافع إحساسه بالاتصال مع الآخرين، وتتيح له الفرصة ليتعلم مهارات لغوية، وتزوده بشعور باطني بالسرور، وتكسبه القدرة على التعبير عن ذاته والتفاعل مع مشاعر الآخرين. والأطفال عندما يرددون الأناشيد، فإنهم يتعلمون كلمات وأصواتًا جديدة، وتساعدهم الإيقاعات الموسيقية بما تتضمنه من تعلم حركي، على النمو الجسمي السليم.

وجِماع القول: إن الشعر الموجه إلى الأطفال واليافعين وسيلة ثقافية وتربوية، لا تقف عند حدود الترفيه والإمتاع فحسب، بل هو وسيلة لغوية رفيعة لتواصل الطفل واليافع مع ذاته أولًا، ومع المجتمع ثانيًا؛ فيتعرف عن طريقها على ذاته، وينمي خبراته.

ويعدّ شوقي من أبرز الشعراء الذين كتبوا نصوصًا شعرية للأطفال واليافعين، وتنطلق هذه النصوص من رؤيته الفنية للشعر؛ التي تؤمن بأن هذا النص الإبداعي يجب أن يقترب من الواقعية؛ ليمثل الحياة.

وتنبع تجربة أحمد شوقي الشعرية الموجهة إلى الأطفال واليافعين من مسؤوليته الثقافية تجاه مجتمعه وأمته؛ لذا فإن هذا البحث سيستقرئ مضمرات القول في نصوصه الشعرية انطلاقًا من رؤيته، التي تؤمن بأن هذه الفئة قوةٌ للمجتمع، تدعم ثوابته، وتعزز قيَمه، وترسي دعائمه.

وقد خصص شوقي في ديوانه "الشوقيات" مجموعةً شعرية لتلك الفئة، بعنوان: "ديوان الأطفال"، وذلك في الجزء الرابع، وهو "ثلاثة وعشرون ومئة بيت في عشر قطع، وأكثره من الأناشيد العامة التي نظمها في مناسبات، ثم أرادها لتكون مما يُنشده الناشئة، والخامس من شعر الصبا، وهو تسعة وتسعون بيتًا في ثماني قطع من أوليات شعره".

وستكون هذه المجموعة هي موضع اشتغال هذا البحث؛ للكشف عن مضمرات القول في نصوصها، من منظور تداولي.

المبحث الأول: مفهوم النظرية التداولية

تختص التداولية بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم/ الكاتب، ويفسره المستمع/القارئ؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات، أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة. (يول، 2010، ص 19). وتُعْنى التداولية بـ "دراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية، ومستخدمي هذه الصيغ" (يول، 2010، ص 20) وقد تعددت تعريفاتها بحسب الخلفيات المعرفية للمنظرين لها، وكل هذه التعريفات ترتبط بشكل مباشر بعلاقة المتكلمين بالسياق، أو تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها (غيطاس، 2015، ص 132)

ويؤكد الباحثون أن التداولية: "حقل معرفي يهتم بالحركة الدلالية التي تحُدِثها الخطابات، وهي تحول اللغة إلى أعمال قولية، بحسب حاجة التواصل بين الأفراد والمجموعات في مختلف القطاعات البشرية. وهي العقل المعرفي الذي تنظر عن طريقه علوم اللسان عامة، والتواصل والخطاب خاصة، إلى اللغة بوصفها نشاطًا إنسانيًا فعليًا في المجتمع. كما أنها تهتم بدراسة ظاهرة اللغة في الاستعمال" (غيطاس، 2015، ص 133)، وتقوم على دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب؛ للوصول إلى المعنى، وإحداث الأثر المناسب، بحسب قصد صاحبه. كما تبحث في الشروط اللازمة لضمان قوة الخطاب، وملاءمته للموقف التواصلي الذي يُوجد فيه المتلفظ بالخطاب، والمتلقي له (غيطاس، 2015، ص 133).

وتتأطر مجالات الاشتغال في النظرية التداولية في المباحث التالية:

1. المعنى الذي يقصده المتكلم.
2. المعنى السياقي.
3. كيفية إيصال أكثر مما يقال (يول، 2010، ص 19، 20).

ومن أهم مباحث التداولية:

1-2 الأفعال الكلامية: والمقصود بالفعل الكلامي- كما رآه "أوستن": "الأداء والتصرف والإنجاز" (غيطاس، 2015، ص 182)، وهو الصيغة الكلامية التي تنجز عملًا اجتماعيًّا بمجرد النطق به، وينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي، بالإضافة إلى أنه غايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، فالمقصود بالفعل في هذه النظرية ليس الحدث الصوتي فقط، وإنما هو ذلك الفعل اللغوي الذي يترك أثرًا بعد إنجازه؛ فالتلفظ بجملة من العبارات في سياق معين، وفقًا لظروف تبليغية مناسبة، يعني إنجازها في الواقع؛ فكل فعل كلامي ناجح يعني توفير الظروف السياقية المناسبة، بقصد إقناع المتكلم وإفهامه (غيطاس، 2015، ص 182).

وتُعرف الأفعال المنجزة عن طريق الألفاظ بأنها أفعال الكلام، ومن أمثلتها: الاعتذار، والشكوى، والإطراء، والدعوة، والوعد، أو الطلب (طه، 2020، ص 48).

ويتكون الفعل المنجز نتيجة إنشاء لفظ معين من ثلاثة أفعال مرتبطة، هي (يول، 2010، ص 82، 83):

1- الفعل التعبيري، أو إنشاء تعبير لغوي ذي معنى، ويعدّ اللفظ الأساس.

2- الفعل الوظيفي: ويُقصد به صياغة لفظ ليؤدي وظيفة نريد إتمامها؛ فنحن لا نقوم عادة بإنشاء ألفاظ صحيحة البنية دون غاية.

3- الفعل التأثيري: وهو إنشاء لفظ ذي وظيفة معينة، وتأثير مقصود.

ومن بين هذه الأبعاد الثلاثة ينصبُّ التركيز على القوة الوظيفية للفظ؛ إذ هي جوهر الموضوع (يول، 2010، ص 83).

ويتعين توافر ظروف متوقعة أو مناسبة، تُعرف تقنيًّا بشروط اللباقة؛ لكي ينجز الفعل الكلامي كما قصد له أن يكون، وفي حالات ظاهرة سيكون الأداء غير لبق/ غير مناسب، إذا لم يكن المتكلم شخصًا محددًا في سياق محدد، ففي السياقات اليومية توجد شروط قبلية تؤثر في أفعال الكلام، (يول، 2010، ص 85، 86)، وهي كما يلي (يول، 2010، ص 86):

1. **الشروط العامة**، تمثل جانب المشاركين، مثلًا أنهم يفهمون اللغة المستعملة وأنهم لا يمثلون أو يؤدون أدوارًا، وأن كلامهم ذو معنى ومغزى.
2. **شروط المحتوى**: فعلى سبيل المثال، يجب أن يكون محتوى اللفظ بالقياس للوعد أو التهديد دالًّا على حدث مستقبلي.
3. **الشروط التمهيدية:** وتشمل الوعد والتهديد، ويرتبط بهذه الشروط:
4. **شرط الصدق:** الذي مفاده أن المتكلم ينوي صادقًا القيام بعمل مستقبلي بالنسبة للوعد، وأنه يؤمن صادقًا أن الفعل المستقبلي لن يكون ذا تأثير مفيد بالنسبة للتهديد.
5. **الشرط الأساس:** الذي يفيد أنه عند لفظي لوعد؛ فإنني أنوي خلق التزام بتنفيذ الفعل كما وعدت.

2-2 الإشاريات

يُقصد بالإشاريات أدوات الربط بين أجزاء الجملة وبين مجموعة من الجمل؛ فدراسة البعد الإشاري للعلامة اللغوية يمثل جزءًا من مقاصد الخطاب؛ فالإشارة في: أنا، أنت، هنا... تُفهم من سياقها الخارجي، ولا تتحقق إلا عن طريق الاستعمال (عبدالعزيز، 2020، ص 232؛ البحلة، وعصبة، 2019). ويعرف جورج يول الإشاريات بقوله: "تسمى التعابير التأشيرية أيضًا الإشاريات (Indexicals)، وهي أولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار؛ وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي (أنا، أنت)، أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني (هنا، هناك)، أو إلى الزمان عن طريق التأشير الزماني (الآن، آنذاك)، وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها على متكلم ومستمع، يتشاركان في السياق ذاته" (ابن يونس، 2021، ص 61).

3-2 الأقوال المضمرة:

الإضمار إجراء توليدي يمكِّننا من توليد بنيات جديدة في اللغة العربية، ومن هذه الزاوية يعد من صور التوسع في اللغة العربية (الغريسي، 2014، ص 48).

والأقوال المضمرة من المفاهيم التداولية التي تشير إلى المحتويات الضمنية للخطاب، وقد عني المنهج التداولي كثيرًا بدراستها؛ لكونها تمثل التواصل اللساني غير الصريح، الذي قد يكون ضرورة في بعض السياقات، وتكمن فائدتها التواصلية في كونها تتيح الحرية التعبيرية عما يريده المتكلم؛ إذ يضمّن خطابه كثيرًا من المعاني التي تتوارى خلف المعاني الصريحة لخطابه؛ لذا تكون المعاني التي يحتويها الخطاب أكثر من الألفاظ الحاملة لها، إلا أن استخراج المحتوى المضمَر، يحتاج من المتلقي عملًا ذهنيًّا تأويليًّا يستطيع بواسطته فك الرموز التعبيرية التي يتضمنها التركيب؛ للوصول إلى المعنى غير الصريح (محمد، 2021، ص 165).

وفي هذا الصدد يقول (فان دايك): "إن لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة؛ وذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرًا مباشرًا، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أخرى قد عُبر عنها تعبيرًا سليمًا" (محمد، 2021، ص 165، 166)، ولذلك يمكن القول إن الأقوال المضمرة هي: "كل المعاني الضمنية التي بإمكان الملفوظ احتواءها، والتي يستنبطها المتلقي عن طريق السياق، بفضل آليات استدلالية تداولية، ترتكز على مبادئ (قوانين الخطاب) لتحكم العملية التخاطبية" (علي، 2007، ص 148).

ويرتبط مفهوم القول المضمر بالسياق التواصلي الذي قيل فيه الكلام؛ فقولنا مثلًا: (إنها الساعة الثامنة) بين متخاطبين في سياق تواصليّ معين، تحتمل قولين مضمرين، هما: (أسرع، أو تمهل)، بحسب ما يريده المتكلم من المخاطَب (ابن يونس، 2021، ص 61).

إذن القول المضمر، هو المعنى الضمني والخفي من الخطاب، أو المعنى الذي يخفيه ستار اللفظ، ولا يتوصل إليه إلا من خلال عملية التأويل، وفق السياق الذي وُجِد فيه (حساني، 1993، ص 9).

وقد اختلف الباحثون في تحديد مبادئ التداولية؛ فهناك من يرى أن الأقوال المضمرة تتبع معيارًا تداوليًّا يسمى (متضمنات القول)، التي تشمل إضافة إلى الأقوال المضمرة الافتراض السابق؛ فكلا الجانبين المتضمنين في الكلام (الافتراض والمضمر) يتشابهان في أن كلًّا منهما متضمنًا لا يظهر في المنطوق، ويفترقان في أن الأقوال المضمرة "ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية" (دايك، 2000، ص 156).

وهنالك من يقصد بالإضمارات -أحد مبادئ التداولية- ما يقصده غيره بالاستلزام الحواري؛ فقسم الإضمار إلى إضمار عرفي، وإضمار حواري، وهو د. عيد بلبع. أما أركيوني؛ فترى أن المضمنات تنتمي لنمط الترسيخ غير المباشر، حيث يضاف المحتوى المضمر.

وتتسم الأقوال المضمرة بالثراء والتعددية المعنوية؛ لأنها تمنح المتكلم/المبدع القدرة على إيصال معانٍ كثيرةً متفاوتة في بعدها وقربها من المعنى الظاهري، وهذا التفاوت يعود إلى أمرين، هما: عملية الاستدلال التي يقوم بها المتكلم/المبدع؛ لمعالجة تلك الأقوال، وقدرة المتلقي/ المؤوّل على الوصول إلى الاحتمالات الدِّلالية، التي تتقبلها تلك الأقوال، مع التنبه إلى أنّ هذه التأويلات تبقى احتمالية غير مقطوع بقصديتها. وعليه؛ فإنّ هذا الثراء والتعدد الذي تتسع له التأويلات يُؤطّر بعاملين رئيسين يحكمانها، هما (المنهلاوي، 2018، ص 142):

1- "السياق الموقفي المحدد الذي قيل فيه هذا الملفوظ؛ ليكون التأويل ملائمًا/ مناسبًا، وذا صلة بسياق التخاطب.
2- القصد بنوعيه:

- قصد المتكلم: الذي يتأسس عليه تحميل الملفوظ معنى يريد المتكلم إيصاله بعقد الصلة بين الملفوظ، وظروف القول بما تحمله من الخلفية أو المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب.
- وقصد النص: ويتحقق في غياب المخاطب، والوضعية التخاطبية عن عملية إنتاج النص، ومن ثم يقوم مقامه المؤول (ابن يونس، 2021، ص 61).

إنّ مراعاة (قصد المتكلم، وقصد النص) "تُقوّم مسار التأويل؛ فتجنبه التأويل الحرفي الوحيد، الذي يُفقد النص ثراءه الماثل فيما قصده المتكلم من معانٍ أخرى وراء دلالته الحرفية، والتأويلات غير المتناهية التي تذهب بمقصد المتكلم بل بالنص، وما يتعلق به من مقاصد وأغراض؛ فينصبُّ جهد المتلقي على بحث قصد المتكلم، وقصد النص؛ سعيًا لاستكناه الدلالة المضمرة خلف الملفوظات التي تؤدي معناها الحرفي وفق ما تفرضه القواعد التركيبية، والدلالية في لغة ما، ومن ثم

تعد الدلالة الحرفية بمثابة الدال على المعنى الضمني/ المضمر، الكامن فيه القصد؛ فالمعنى الحرفي غير مهمل على هذا التصور، وإن بلغت درجة مفارقته المعنى الضمني حد التناقض؛ إذ منه تنطلق عملية التأويل، بدءًا بالقيام بوصف دلالي للجملة، ثم ما يعقبها من تأويل للقول يتضمن مرحلتين: تتجه أولاهما من الجملة إلى الدلالة، وتتجه الثانية من الدلالة إلى المعنى، وتلك المرحلة وحدها التي تأخذ بعين النظر ملابسات الكلام" (ابن يونس، 2021، ص 405).

وقد أسست اللسانيات التداولية نظرية تقوم على فكرة الكفاءة التواصلية؛ التي تهدف إلى تأويل متضمنات القول بشكل عام، والأقوال المضمرة بشكل خاص، وتتألف الكفاءة التواصلية من خمس كفاءات فرعية كما يراها سيمون ديك (ابن يونس، 2021، ص 165)، وهي كما يلي:

1. **الكفاءة اللغوية**

وبها يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج ويؤول عبارات لغوية ذات بنيات متعددة ومعقدة، وفي مواقف تواصلية مختلفة؛ ويقصد بها: معرفته بقواعد لغته (محمد، 2021، ص 165، 166)، وقدرته على فك ترميز الأنساق للغة، كالنسق الصوتي، والدلالي، والنحوي (مليكة، ومسعودة، 2020، ص 406).

وتنبني الكفاءة اللغوية عند العرب القدامى "على ما يوفره المعجم من سمات تساعد على إضفاء الدلالة على الأركان التركيبية؛ فتغتدي بذلك ذات مجال أرحب في التواصل والتفاهم بين أفراد المجتمع اللغوي"(مليكة، ومسعودة، 2020، ص 406).

2. **الكفاءة المنطقية**

هي التي عن طريقها "يستطيع مستعمل اللغة أن يشق معارفه بواسطة قواعد استدلالية تحكمها مبادئ الاستنباط الاحتمالي" (مليكة، ومسعودة، 2020، ص 406)، وقد أشار الجرجاني إلى هذه الكفاءة عند حديثه عن الكناية، وضرب مثلا لذلك بكثرة رماد القدر الذي يدل على الكرم؛ إذ يشرع في إيضاح هذا الاستدلال المنطقي بقوله: "لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: إنه كلام قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد؛ فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنصب له القدور الكثيرة، ويُطبخ فيها للقِرى والضيافة؛ وذلك أنه إذا كثر الطبخ في القدور؛ كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب؛ كثر الرماد لا محالة!". (الجرجاني، د.ت، ص 431).

3. **الكفاءة المعرفية**

وهي التي عن طريقها "يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكوّن رصيدًا من المعارف المنظمة، وأن يختزنها بالشكل المطلوب، وأن يستحضرها في تأويل العبارات اللغوية" (مليكة، ومسعودة، 2020، ص 407).

4. **الكفاءة الإدراكية**

بها يتمكن مستعمل اللغة من إدراك محيطه، وأن يشتق من إدراكه معارف، وأن يستعمل هذه المعارف في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها (مليكة، ومسعودة، 2020، ص 407).

5. **الكفاءة المجتمعية**

فمستعمل اللغة لا يعرف ما يقوله فحسب، بل يعرف كيف يقول لمخاطَب معين، في موقف معين؛ بقصد تحقيق هدف تواصلي معين (مليكة، ومسعودة، 2020، ص 407).

ولنتمكن من إنجاز تداولية خطاب معين، "علينا تخطي الاهتمامات الاجتماعية الابتدائية للتفاعل، وتحليل المحادثة، والنظر خلف الأشكال والبنى الواردة في النص، والتركيز حثيثًا على مفاهيم نفسية، مثل المعرفة الخلفية،

والمعتقدات، والتطلعات، ففي تداولية الخطاب نكون مجبرين على استطلاع ما في ذهن المتكلم/ الكاتب" (يول، 2010، ص 128).

ومن هنا فإن عملية التأويل التداولي في تحليل الخطاب ترتكز على العناصر التالية:

أ- السياق

يعدّ السياق من أهم العناصر التي يتكئ عليها المرسل في إيصال رسالته وقصديته للمرسَل إليه، وتمثل معطيات السياق الذي يجمع المتكلم والمخاطب، وهي أداة الأخير في مسار بحثه عن الدلالة التي قصدها المتكلم عند عملية التواصل المباشر، أو المنقولة إليه إن كان متلقيًّا، وعن طريق السياق يلجأ المؤوِّل إلى اختيار أحد المعاني التي يتحملها الملفوظ، تبعًا لدرجة ملاءمته السياقية، وهو ما يمكِّن الملفوظ الواحد من أداء أكثر من معنى تبعًا لظروف قوله. (محمد، 2021، ص167).

ب- الخلفية المعرفية

لا بد أن قابليتنا في الوصول تلقائيًّا إلى تفسيرات ما لم يكتب وما لم يُقل مستندة على بنى معرفة موجودة مسبقًا، تؤدي هذه البنى وظيفة معروفة موجودة مسبقًا لنماذج مألوفة من خبراتنا السابقة التي نستعملها لتفسير تجارب جديدة (يول، 2010، ص 131، 132).

وتمكِّن المعارف الخلفية المخاطب من إدراك ما يلمح إليه المتكلم، بوصفها مخزونًا من المعلومات يرجع إليها المخاطب منتقيًا ما يتعلق منها بموضوع التحاور، وتمثل الخلفية المعرفية جسرًا يعبُر منه المؤوِّل مخاطَبا كان أو متلقيا من المعنى الظاهر إلى قصدية المتكلم (محمد، 2021، ص 167).

ج- الاستدلال

تنطلق عملية الاستدلال التي تنهض عليها الأقوال المضمرة من إيحاء المتكلم إلى المخاطَب بالتفكير في معانٍ أخرى وراء المعنى الحرفي لتحمل أوجه الدلالات، وكذلك من ثقة المتكلم في قدرة المخاطب على القيام بالعمليات الاستدلالية المطلوبة للوصول إلى المعنى المقصود، وهو ما يوجه المؤوِّل إلى الانتقال من السؤال عن معنى ما قاله المتكلم، إلى التساؤل عما يرمي إليه المتكلم من وراء ما قال، وهو ما ينقل ثقل التركيز من الملفوظ إلى الملفوظية (محمد، 2021، ص 167).

وتشكل مضمرات القول بؤرة هذا البحث، التي سيتتبعها في نماذج من مدونة أحمد شوقي الموجهة إلى الأطفال واليافعين.

المبحث الثاني: الأقوال المضمرة في شعر شوقي الموجه للأطفال واليافعين

إن المعنى الضمني كما يراه بعض المعنيين بتحليل الخطاب "خطوة تخاطبية معالجة من قبل المرسَل إليه" (الحاج، 2015، ص 241)، وهو مرتبط بالمعنى الظاهر؛ لذا يمكن أن "نستنبط من الملفوظ محتويات لا تشكل الموضوع الحقيقي للتلفظ، ولكنها تظهر في ضوء المحتويات الصريحة، وهذا مجال الضمنيّ" (مانغونو، 2008، ص 71).

وتجدر الإشارة إلى "أن اللغة تؤدي في جانبها التداولي دورًا رئيسًا في التعبير عن المقاصد التي ينويها المتكلم، وتسهم عناصر السياق في التعبير عن هذه المقاصد، وعلى المتلقي أن يفكك دلالات اللغة؛ للوصول إلى المعنى المقصود" (ثامر، 2021، ص 1115).

وقد اتكأ شوقي على بنى إضمارية، عمد بها إلى إيصال هذه المعاني المضمرة إلى المتلقين، ومن أبرزها:

1-2 الأقوال المضمرة في الصور البيانية

لقد نظم أحمد شوقي نصوصًا شعرية للأطفال واليافعين، تتضمن قضايا وطنية واجتماعية، ونفسية في صورة حكايات رمزية على لسان الطير والحيوان؛ قاصدًا بذلك تعميق القيم الروحية، والمثل العليا الإنسانية، وبعث روح التفاعل

والدفاع عن الوطن وتعميق الشعور بالانتماء إليه، وهذا النوع من الشعر هو الأنسب للطفولة الواعية، مهمته تشكيل وجدان الأطفال في المراحل المختلفة، وتوسيع الخيال وامتداده، إضافة إلى الثروة اللغوية التي تكون في نمو مطرد في هذه القصص؛ وطبقًا لذلك ينمو العنصر العقلي المكمل للعنصر الوجداني.

ويشمل الإضمار في قصائد شوقي الموجهة للأطفال واليافعين جانبين: أولهما يتمثل في الأقوال المضمرة في القصيدة ذاتها؛ فالمرسل والمتلقي (الشاعر، والطفل أو اليافع) كلاهما يوظفان الجانبين في تحقيق التواصل مع الطرف الآخر، أما الجانب الآخر من الأقوال المضمرة فإنه يتعلق بمتلقي القصيدة -قارئًا ومستمعًا-، حين يعرض الإظهار والإضمار عن طريق التأويل، حثًّا لهذا المتلقي على القيام بدوره في تحقيق الرؤية الكاملة للمشهد في بعديه الظاهر والمضمر، ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة بعنوان: (المدرسة):

أنـــا المدرَسَـــةُ إجعَلنـــي كَـــأُمٍّ لا تَمِـــل عَنّـــي

بنى شوقي نصّه على لسان المدرسة، وهذه البداية إنما هي شفرة للمتلقي تفسر له ما يُضمَر بعدها؛ ليتمكن من الولوج إلى المعنى المقصود، وقد استخدم أسلوب الأمر؛ ليطلب من الطالب على لسان المدرسة أن يجعلها مثل الأم؛ فلا يمل عنها أبدًا، كما لا يمل الابن عن أمه! ويمكن الإشارة هنا إلى فعل الأمر الذي استخدمه الشاعر للتلميح؛ فيتحول من معناه الحقيقي وهو الطلب إلى معنى تواصلي وهو التقدير والاهتمام؛ إذ تحولت صيغة الأمر (اجعلني) من معناها الوضعي، إلى معنى مجازي غير صريح هو تقدير أهمية المدرسة؛ ذلك أن الشاعر لا يقصد تصرفًا معينًا من السامع يقوم به، ولكنه يستثير عاطفة التقدير المطلق، الناتج عن صلة عميقة أبدية تشبه علاقة الأم بابنها؛ لما لهذه الأم من فضائل غير منقطعة.

إن هذا التشابه في الصلة الوطيدة تجاه الأم والمدرسة هو نتيجة الانتقال من البنية السطحية لفعل الأمر، إلى البنية العميقة المتمثلة في توطيد الألفة بين المدرسة والطالب، كما هي بين الأم وابنها؛ فهذا التلميح بالفعل الإنجازي (اجعلني) هو الذي أخرج الأمر من معناه الحقيقي، وحمّل الخطاب بعدًا نفسيًّا معتمدًا على فطنة القارئ/ المرسَل إليه ليفهم المقصود من كلامه.

وقد استخدم شوقي الصورة التشبيهية لجذب انتباه الطالب والتأثير فيه؛ إذ إن الصورة التشبيهية التي تستند إليها الإستراتيجية التلميحية، التي يعتمد عليها المتكلم في خطابه بقصد الإقناع؛ تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة أمر معين عن طريق التشابه، الذي يراه بين الأم والمدرسة، وتحويل شعور النفور المحتمل في الطالب، إلى شعور الاهتمام الحقيقي، الناتج عن صلة عميقة تشبه علاقة الأم بابنها، كما يود إثارة قيمة الالتزام لدى الطالب تجاه مدرسته، وينبهه إلى دورها العميق في حياته؛ ومن هنا فإن القول الظاهر هو: (أَنا المدرَسَةُ اِجعَلني كَأُمٍّ لا تَمِل عَنّي)، والقول المضمر: (أهمية المدرسة للطالب تشبه أهمية الأم في حياة الابن).

ولتقريب مزايا المدرسة للطلاب، وتجسيد أهميتها في حياتهم الواقعية، وترغيبهم في إدراك دورها الريادي والتنويري للمتعلمين، لجأ شوقي إلى استعمال الصور الفنية كما في هذا الخطاب الشعري:

وَلا تَفـــــــزَع كَمَـــــــأخوذٍ مِـــــنَ البَيـــــتِ إِلـــــى السِـــــجنِ
كَـــــأَنّي وَجـــــهُ صَـــــيّادٍ وَأَنـــــتَ الطَيـــــرُ فـــــي الغُصـــــنِ

ترسم حوارية هذا الخطاب الشعري صورة المدرسة بصورتي السجن، ووجه الصياد؛ وهذا القول الظاهر يمثل صورة قريبة إلى ذهن المتلقي/ الطالب؛ وذلك لكونها من وحي الواقع المحتمل لدى بعض الطلاب، فالمشهد له دلالة إيحائية مؤثرة في النفس، وهذا الاستعمال المجازي للقول زوّد المتلقي بمعارف جديدة على معارفه، وهو ما يستدعيه الخطاب الذي يتناسب مع

الموقف؛ حتى يحدث الإقناع لدى المتلقي، وهذا يُفسر بقول مضمر: بأن المدرسة ليست سجنًا، وليست وجه صياد يقتلعه من حريته، ويسلمه للأسر!

لقد استخدم الشاعر في خطابه التشبيه المرسل باستخدام حرف التشبيه (كأن)؛ بدلالة التفاوت بين المشبه والمشبه به (الصياد/ المدرسة) لإضفاء طابع الموضوعية عليه؛ رغبة في إقناع المتلقي، وحمله على إنجاز فعل الاهتمام والانتباه لأهمية المدرسة (محمد، 2021، ص 167)؛ فالبيتان يجسدان صورة مجازية؛ إذ أصبحت المدرسة صيادًا عن طريق تشخيصها، وإكسابها صفة إنسانية؛ والطالب طائرًا يخشى الصياد ويفزع منه؛ فالقول المضمر في هذين البيتين يقوم على صورة مجازية عمادها التشبيه؛ فقد شبه نفور بعض الطلاب من المدرسة بفزع الطائر من الصياد.

وفي سياق الحديث عن فوائد المدرسة التي تعود على المتلقي بالنفع؛ يوظف شوقي إستراتيجية الكناية؛ بهدف إقناع المتلقي وتوجيهه نحو الفكرة التي يرمي إليها؛ فيقول:

أَنـــــا المِصـــــباحُ لِلفِكـــــرِ أَنـــــا المِفتـــــاحُ لِلـــــذِّهنِ
أَنـــا البـــابُ إِلـــى المَجـــدِ تَعـــالَ ادخُـــل عَلـــى الـــيُمنِ

وكأن هذين البيتين تفسير للمضمر في الأبيات السابقة، المتمثل في إثبات أهمية المدرسة، وتصحيح مفاهيم الطلاب ومعتقداتهم حولها؛ فهي ضرورية لتكوين عقل الطالب، وهي المصباح الذي سينير له طريق المستقبل؛ فهذا إظهار لما سبق أن أُضمِر.

لقد استعان شوقي بالتلميح الكنائي في البيتين السابقين؛ ففي قوله: (المصباح للفكر/ المفتاح للذهن/ الباب إلى المجد) كناية عن موصوف، وهو المدرسة. فالمرسِل هنا يعبر عن المدرسة من خلال تراكيب لغوية تشير إليها وتعبر عنها؛ فالسياقان النصي والمقامي يكشفان أن المرسل لا يقصد الفعل الوصفي فحسب، بل يحمّل الخطاب الشعري قصدًا تواصليًّا وغرضًا تداوليًّا، وهو ربط التعليم بنهضة الفكر، وانفتاح الذهن، وبلوغ المجد؛ وذلك لتوجيه سلوك المخاطب بغرض الترغيب؛ تمهيدًا لحمله على زيادة الاستحسان لقيمة المدرسة وأهميتها، وهذه الأبعاد الفنية لها قيمة أخلاقية ذات غاية تأثيرية وتعليمية للمتلقي.

ويراعي شوقي مقام التحدُّث مع الأطفال واليافعين بذكاء وفطنة؛ فحين أراد إثبات قيمة المدرسة في نفوسهم شبهها بأجمل صورة في حياتهم، وهي صورة الأم؛ بل أقام حوارًا تخيليًّا على لسان المدرسة لمزيد من التأثير؛ "وعلى هذا الأساس يمكن للمرسِل أن ينجح في تأسيس العلاقة مع المرسَل إليه، وذلك باستعمال الإستراتيجية التضامنية للخطاب عن طريق اكتساب ثقته أولًا، ثم إقناعه بفكرته ثانيًا؛ وهذا ما سيكسبه سلطة في التقرب منه، وتفعيل الأقوال المضمرة للاقتناع بأفكار المتكلم" (ابن يونس، 2021، ص 69).

نمـــى حديثـــه إلـــى صـــبي صـــغير جســـمٍ بطـــل قـــوي

يُلحظ في هذا البيت حضور الكناية؛ ففي قوله (صغير جسم) كناية عن ضآلة حجم الصبي المتصف بالبطولة والقوة؛ ونستنتج أن هذا البيت يتضمن قصدين: الأول قصد مباشر، وهو الظاهر من معنى السياق الشعري: الصبي ضئيل الحجم. والثاني قصد عميق، وهو أن ضآلة الحجم لا تستلزم الضعف؛ بدليل وصفه بالبطل القوي؛ وعليه فإن الشاعر يقصد غرضًا تواصليًّا يتمثل في دحض الفكرة التقليدية للبطل؛ حيث يُريد أن يقول: إن البطل ليس بالضرورة أن يكون ضخم الجسم.

ومن ذلك قوله أيضًا في حكاية الصياد والعصفورة:

قـــال تشـــبهت بأهـــل الخيـــرِ وقلـــت أقـــري بائســـات الطيـــرِ

لقد وظف شوقي تقنية الحوار في قصصه الشعرية، ونلمس بجلاء أن المتكلم هنا/ الزاهد وجه حديثه إلى المخاطبة،وهي العصفورة، بلغة تأثيرية إقناعية؛ بدليل الكناية في قوله (أقري) كناية عن كونه مضيافًا يقدم الطعام للطيور؛ مما سيعظم صورة حبه للخير في عين العصفورة. بالإضافة إلى الاستعارة المكنية في قوله (بائسات الطير)؛ حيث شبه الطيور بضيوف مقدَّرين لدى الزاهد يُقدم لهم الطعام.

ويظهر السياق الشعري إلى جانب سياق الموقف وهو سياق مظهر الزاهد الخيّر المرتبط بالضيافة والإطعام، أن مفتاح التواصل بين طرفي الخطاب هو الافتراض المسبق الذي يمكّن من فهم قصد المرسِل؛ وعليه فإن هذا الافتراض هو ربط مظهر الزاهد بحب الخير وتقديم المعروف والإحسان، لكن قصد المرسل هنا ليس الإقرار بصحة الربط الذهني بين المظهر وحسن السريرة، بل القصد التواصلي التداولي هنا هو تفنيد الفكرة الشائعة؛ إذ ليس كل من يبدو زاهدًا هو صادق، بل يجب التروي والفطنة وعدم تصديق المظاهر الخداعة. وفي قوله أيضًا في حكايته الشعرية (البلابل التي رباها البوم):

أعطى بلابله يومًا –يؤدبها لحرمة عنده- للبوم يرعاها

وظف شوقي في البيت السابق تجسيد مشهد تربية البوم للبلابل، وليس القصد منه نقل حادثة وصفية، بل القصد التداولي من التجسيد في قوله (للبوم يرعاها) الدلالة على إيكال الأمر إلى غير أهله؛ فالافتراض الذي ألمح إليه جاء بالاعتماد على مرجعية دالة، وهي أن البوم ليست موكلة بتربية البلابل.

وفي قصيدته (نديم الباذنجان):

قـــال النـــديم صـــدَقَ الســـلطانُ لا يســـــتوي شـــــهدٌ وباذنجـــــانُ

يعكس البيت السابق من خلال الكناية في قوله (النديم) شخصية النديم، وهو لا يقصد المعنى الحرفي للنديم بمعنىالرفيق والصاحب؛ فهو كناية عن المنافق الذي يحرّف الأحاديث والأقاويل وفق ما يريد ليبلغ رضا السلطان بسلوكٍ لا يخلو من تطرف؛ وقيمة الكناية التداولية غرض تواصلي، يتمثل في التنفير من التملق للتبلغ به وكسب ود الآخرين؛ فالسلطان يدرك تلاعب النديم ونفاقه ليكسب رضاه؛ فالنفاق سلوك ظاهر، عواقبه غير محمودة.

وفي ذات القصيدة كناية عن نسبة، ففي البيت:

وَكـــانَ مَـــولاهُ يَـــرى وَيَعلَـــمُ ويســـمع التمليـــق لكـــن يكـــتمُ

تُحيل الكناية (التمليق) إلى حقيقة أن السلطان لديه قدرة على المعرفة والوعي بما يدور حوله. هذه الكناية تعكس نسبة الوعي والإدراك التي يتمتع بها السلطان. ويبين سياق المقام التواصلي أن الكناية أعطت معنى حقيقيًّا يتمثل في انكشاف المنافقين لذوي الفطنة.

ثم نجد أنّ عنوان القصيدة هو نديم الباذنجان، وهو كناية عن نديم السلطان المنافق الذي استعمل الباذنجان جسرًا لتحقيق الحظوة والمكانة لدى الحاكم.

وفي البيت التالي:

قـــال يـــا فـــرع الملـــوك الصـــالحين أنـــت مـــا زلـــت تحـــب الناصـــحين

سوســـةٌ كانـــت علـــى القصـــر تـــدور جـــازت القصـــر ودبّـــت فـــي الجـــذور

فإن توظيف الشاعر للفظة (سوسة) على سبيل الكناية جاء للدلالة على صفة الفساد؛ فالمرسل لا يقصد المعنى الوضعي المتمثل في النخر الذي يصيب الأسنان؛ فالشاعر عرض قضيةً مصيريةً في حياة الدولة، وهي قضية الفساد؛ في دلالة قصدية تواصلية تحذر من كون فساد الأساس ينمو وينتشر؛ والناظر للبيتين يجد أنّ ما يدل على ذلك هو ارتباط السوسة بالحكم؛ فالفساد يظهر في الدول بسيطًا، ثم ينمو ليصبح متجذرًا فيها؛ ووصفه لحركة النمو تلك بالدبيب في الجذر يدل على التطور ببطء، وتفاقم الوضع.

وفي قصيدة الديك الهندي والدجاج البلدي يقول:

إذ جاءهـــا هنـــدي كبيـــر العـــرفِ فقـــام بالبـــاب قيـــام الضـــيفِ

فعـــاود الـــدّجاج داء الطـــيشِ وفتحـــت للعلـــج بـــاب العـــشِّ

إن المتأمل في البيتين السابقين؛ يجد أن توظيف لفظة (الدّجاج) كناية عن البشر الذين لا يتعلمون من أخطائهم، بل إنهم يداومون على الوثوق بالعدو؛ فالشاعر لا يقصد الدجاج بمعناه الحقيقي؛ بدليل توظيف لفظتي: العلج، الهندي، اللتين تدلان على الغريب الدّخيل الذي يعد الناس بالتغيير؛ في دلالة قصدية تواصلية ترمز للتحرر ومقاومة الاستعمار الذي بسط نفوذه على الناس.

ومن ذلك قوله في قصيدة أمة الأرانب والفيل:

كـــان فـــيهم أرنـــبٌ لبيـــبُ أذهـــبَ جـــلّ صـــوفه التجريـــبُ

إنّ المتأمل في عجز البيت يلحظ وجود كناية عن صفة وهي الفطنة والذكاء؛ فقد تساقط صوف الأرنب من شدة تفكيره حتى بدا أصلع. وجاء الفعل الماضي (أذهب) للإحالة على حدث بعيد في دلالة على قدم الزمن والتجارب؛ في دلالة تداولية تواصلية تربط عامل الفطنة بكثرة التجارب، لا التقاعس عن الإقدام والخوف من الفشل.

وفي قصة النعجة وأولادها:

وضـــاق بالـــذئب وجـــه الأرض مـــن فَـــرَقٍ فانســـاب فيـــه انســـياب الظبـــي في القـــاع

فقالـــت الأم: يـــا للفخـــر كـــان أبـــي حُـــرًّا، وكـــان وفيًـــا طائـــل البـــاع

إذا الرعـــاة علـــى أغنامهـــا سَـــهِرَتْ سَـــهِرْتُ مـــن حـــب أطفـــالي علـــى الراعـــي

وظف الشاعر لفظ (سهرت) كنايةً عن تحمل المسؤولية والوقوف عليها؛ فالرّاعي لكونه مسؤولًا عن أغنامه؛ فشل الذئب في تحقيق مساعيه. إن استعمال الشاعر أسلوب الكناية يحيل على دلالة تداولية تتجاوز المعنى القريب المتمثل في سهر الأم على أطفالها إلى معنى سياسي بعيد يتمثل في رعاية الحاكم لشعبه ومسؤوليته عنهم حتى يحميهم من الطامعين فيهم.

وقيمة الكناية التداولية تتمثل في إيصال غرض تواصلي يعكس الحال في الدول؛ إذا سهر الحاكم على رعيته كان ذلك سببًا لهم لخدمته وحمايته.

2-2 الأقوال المضمرة في الأساليب الإنشائية:

ومن نماذج ذلك، قصيدة وطنية استعمل فيها القصة الشعرية في حوار خيالي بين عصفورتين، وريح يمانية؛ وذلك بهدف إظهار حب الوطن مهما تعددت خيرات البلاد الأخرى؛ إذ لا شيء يَعدِلُ الوطن!

قالَـــــت لَـــــهُ إِحـــــداهُما وَالطَيـــــرُ مِـــــنهُنَّ الفَطِـــــن

يـــا ريـــحُ أَنـــتَ اِبـــنُ السَبيـــ ـــــلِ، مـــا عَرَفـــتَ مـــا السَـــكَن
هَـــب جَنَّـــةَ الخُلـــدِ الـــيَمَن لا شـــَـيءَ يَعـــــدِلُ الـــــوَطَن

إن وجود محاور مجرد على لسان الشاعر/ العصفورتين والريح، يقدم رؤىً مهمة متعلقة بالحقائق التي يكشفها النص في عملية الحوار، وكأن هذا التدرج في الخطاب تفسير للمضمر الذي سبق.

ويمكن الإشارة إلى صيغة الأمر (هب)؛ فالمرسل ينجز فعلًا لغويًّا لا يعني به المعنى الحرفي المتمثل في الافتراض؛ بل يقصد إثبات حقيقة ثابتة لا تقبل الافتراض؛ حيث قالت إحدى العصفورتين للريح متخذةً في ذلك "سبيل الإظهار لا الإضمار؛ حتى يكون الرد قاطعًا، غير محتمل لغيره" (شفطر، 2014، ص 291)؛ فقد خرج الخطاب من الإضمار إلى الإظهار: (لا شَيءَ يَعدِلُ الوَطَن).

وهنا أيضًا تلميحات يقصد إليها المتكلم/ الشاعر، في الأفعال الكلامية ببعض الأساليب، مثل النداء الذي يخرج عن معناه الحقيقي في قوله: يا ريح، وهو طلب الإقبال للتنبيه على أمر عظيم؛ بسبب التأثر والتعبير عن المعنى النفسي الذي يسيطر على المتكلم، والتلميح بهذه الصورة يرتبط بقصد المتكلم/ الشاعر، الذي يسعى إلى نقل صورة الخطاب المرتبطة بالقصد؛ وذلك من شأنه أن يساعد المتلقي على الإحاطة بالمعنى المقصود من النداء (ثامر، 2021، ص 1125، 1126؛ واصل، 2020).

ففي تنبيه الريح بأسلوب النداء تظهر النتيجة للقصة المكتملة بمعناها: (أيها الريح، أنت المسافر الذي لم يعِ معنى الاستقرار، وافترض أن اليمن هي الجنة الموعودة، لكنها لا تعادل قيمة الوطن!).

يعرض الشاعر بصفته متكلمًا في التركيب السابق خبرًا يتعلق بمواقف ينقلها للمخاطب/ المتلقي، الذي يستقصي الدلالة ليصل إلى المقصود؛ لأن التركيب يحمل أسلوب نداء، المراد منه إظهار شعور الفخر بالوطن؛ فالسامع لا يدرك الإبلاغ المقصود بالنداء إلا عن طريق عناصر السياق وملابسات الحديث التي ذكرها الشاعر/ المتكلم في الخطاب معتمدًا على النداء الدال على معانٍ خبرية (ثامر، 2021، ص 1125).

وبناءً على ما سبق؛ نجد أن الشاعر يوازن بين قضيتين مهمتين مُشاهدتين في الواقع، هما: الفخر بالوطن، والإخلاص له، مهما كانت الإيجابيات والسلبيات، والأخرى هي شعور المقارنة وعدم الرضا بالواقع.

والشاعر إذ يسعى إلى تأكيد ما يطمح إلى طرحه للأطفال واليافعين؛ فإنه يشير إلى الفكرة التي يريد نقلها، وهي الفخر بجماليات الوطن، وقيمة الاستقرار كأولوية للأمن الذاتي؛ مهما تميزت البلاد الأخرى بمزايا تنافسية؛ ليقدم للمرسَل إليه عن طريق الأقوال المضمرة مادة تربوية قيّمة، يستشعر فيها المتلقي عملًا توجيهيًّا غير مباشر؛ ليكون مقتضى الخطاب العام هو احترام الوطن وتقديسه.

ومن الشواهد التي تضمنت الأفعال الكلامية ما جاء في قصيدة (أنت و أنا)؛ إذ يقول:

فقـــال للقـــوم ســـأدريكم بـــه فتعلمـــون صـــدقه مـــن كذبـــه

نلاحظ حضور الفعل سأدريكم، وهو فعلٌ كلامي يدل على الوعد؛ فالشاعر يستنطق كلام الشخصية المتخيلة في القصيدة، ويعد الحاضرين بالانتقام والقضاء على المستبد. وعليه؛ فإن الشاعر لا يقصد المعنى الحرفي للفعل الإنجازي المتمثل في الإخبار؛ بل هو فعل إنجازي القصد منه إثبات حقيقة أن المدعي للقوة جبان، وأن ثنائية الصدق والكذب في هذا الخطاب تعكس افتراضًا مسبقًا هو الظن بأن الصدق مرتبط بالمألوف؛ أي أن ضَخْمَ الجسمِ قويٌّ، ويُظهر السياق النصي إلى

جانب سياق الموقف أن الشاعر لا يقصد هذا المعنى السطحي؛ بل يقصد غرضًا تداوليًّا هو ترك الادعاءات الزائفة وتكذيبها، وتصديق المواقف الفعلية.

وفي نفس الحكاية الشعرية نجد حضورًا لأداة الشرط غير الجازمة "كلما":

وَكُلَّمـــا مَـــرَّ هُنـــاكَ وَهُنـــا يَصـــيحُ بِالنـــاسِ أَنـــا أَنـــا أَنـــا

حيث يُستخدم فعل الشرط "كُلَّما" للتعبير عن تكرار الفعل؛ وفي هذا الخطاب يقصد المرسل من هذا الفعل الإنجازي التأثير بإقناع المتلقي بمبالغة مدعي القوة في إظهار قوته التي ثبت أنها محض ادعاء. ونجد ذات الدلالة الإحالية من قبل المرسل في تكرار ضمير المتكلم (أنا)؛ فهو لا يقصد إثبات الحضور بمعناه السطحي؛ بل يقصد غرضًا تواصليًّا هو عدم تصديق من يُكثر من قول (أنا)؛ فذلك مرتبط بتضخيم الذات، وزيف الادعاءات؛ فهذه العبارة قد تحمل تورية عن الفخر أو الثقة بالنفس، ولكنها أيضًا تعبر عن رغبة في الاعتراف من الآخرين.

وفي حكاية (الصياد والعصفورة) في قوله:

إيـــــاك أن تغتـــــرّ بالزهـــــادِ كـم تحـت ثـوب الزهـد مـن صـيادِ

يدور محتوى أبيات الحكاية حول المظهر الخادع، والشاعر وصف الصياد ظاهريًّا؛ فهو تقمص شخصية الزاهد وتصرفاته؛ ليمهد بعد ذلك للفعل المخادع الذي صدر عنه بصيده للعصفورة؛ فنجده استعمل أسلوب أمر خرج إلى معنى التحذير، لكن قصد الشاعر ليس التحذير من مظهر الزهاد بصفةٍ خاصة، بل يحمل خطاب التحذير قصدًا تواصليًّا هو التحذير من الانخداع بالمظاهر والاتكاء عليها؛ فهنالك من يتقمص مظهر المتدينين والزهاد ليمرر حيله الخداعية، والصيّاد من هذه الفئة.

وتتعدد الأساليب الإنشائية في شعر شوقي، ومن ذلك في حكايته (نديم الباذنجان):

فالتفـــت الســـلطان فـــيمن حولـــه وقـــال: كيـــف تجـــدون قولـــه

قـــال: النـــديم، يـــا مليـــك النـــاسِ عـــذرا فمـــا فـــي فعلتـــي مـــن بـــاسِ

إنّ المتأمل في البيتين السابقين، يلحظ أنّ الشاعر وظف أسلوب الاستفهام الذي خرج من معناه الحقيقي المتمثل في طلب الإفهام إلى معنى عميق هو التعجب، وأن بنية الاستفهام فيه (كيف تجدون قوله؟) تتضمن افتراضًا سابقًا، وهو أن السامعين مدركون للتلاعب اللفظي من قبل النديم؛ وهذا يدلّ على غرابة فعل النديم المتمثل بالنفاق الزائف غير المألوف الذي أوصل السلطان إلى الدّهشة؛ بدليل أننا نجده في البيت الثاني ينادي الملك بأسلوب التحبب؛ لالتماس العذر على كلامه الزائف المنمق. إذن فالقصد التواصلي للمتكلم هو استنكار سلوك النفاق وعدم إقراره.

تميز شوقي بقدرته على تصوير الأدب الواقعي في بعده الإنساني، "واستخدم الشاعر بصفته مرسِلًا للخطاب أسلوب الاستفهام ليعرض مواقفه الخطابية بشكل غير صريح؛ إذ ينقل خطابه من أسلوب مباشر إلى أسلوب غير مباشر، يُؤخذ بالتلميح، وهو من العقد المتفق عليه بين المتكلم والمخاطب كقوله في الخطاب الشعري الآتي" (ثامر، 2021، ص 1125):

وَيـــــحٌ لَـــــهُ وَيـــــحٌ لِهَـــــذا، الوَلَـــــدِ المُعَـــــذَّبِ

أَلَـــــم تَكُـــــن تَصـــــنَعُ مـــــا يَصـــــنَعُ إِذ أَنـــــتَ صَـــــبي؟!

ولا أدل على مقتضى خطابه العام من استخدامه فعلًا منجزًا يخرج في دلالته عن مقتضاه الظاهر وهو الاستفهام إلى معنى يلائم السياق، وهو التقرير؛ حين استنكرت الجدة الحنون سلوك ابنها/ الأب الغاضب:

وَهـــــيَ تَقـــــولُ لِأَبـــــي ... بِلَهجَـــــةِ المُؤَنِّـــــبِ:
وَيـــــحٌ لَـــــهُ وَيـــــحٌ لِهَـــــ ... ـــــذا الوَالـــــدِ المُعَـــــذِّبِ
أَلَـــــم تَكُـــــن تَصـــــنَعُ مـــــا ... يَصـــــنَعُ إِذ أَنـــــتَ صَـــــبي؟!

ويضمر هذا المقطع تفصيلات في الموقف يتكفل بإظهارها البيت الأخير، وهذا الإضمار دفع إليه السياق؛ فالغرض من ذكر هذا المقطع تحقيق إستراتيجية الإقناع؛ "حيث اعتمد الخطاب على افتراض مسبق معلوم يعرفه المرسِل والمرسَل إليه" (ابن يونس، 2021، ص 70)، ويمكن توضيحه كما يلي:

- الشعور بالتعب جراء تصرفات الأطفال أمرٌ مشتركٌ بين الآباء بلا استثناء.

-اللوم الصادر عن الجدة ينبئ عن عدم موافقتها لغضب الأب؛ فهو مبالغ به ولا مبرر له.

-أن الأب الغضبان قد مر بمرحلة الطفولة، وأخطاء الأطفال أيًا كان نوعها متشابهة ومقبولة منهم، وهذه معرفة مشتركة بين طرفي الخطاب.

ففي الرسالة السابقة استعان الشاعر بالتكرار (ويحٌ ويحٌ) ترحمًا وتوجعًا على حال الولد المعذَّب؛ لتوجيه سلوك المخاطب وحمله على سلوك الحكمة في التعامل مع سلوكيات الأطفال واحتوائهم بدلًا من استمراء تخويفهم وإرباكهم، وهي رسالة اجتماعية ذات غاية إقناعية للمتلقي، اعتمد فيها الشاعر بصفته مخاطِبًا التلميح المجازي؛ لتمرير قضية ذات أبعاد تربوية واجتماعية (ثامر، 2021، ص 1120).

كما حقق شوقي من خلال التكرار هدفين، هما: النمو اللغوي لدى الطفل واليافع، والتشكيل اللغوي في بنية النشيد (زلط، 1994، ص 123)، بالإضافة إلى أن هذه الجملة الإنشائية خلقت في القصيدة تفاعلًا وحركة، تجعلان الطفل واليافع، يتابعان أحداثهما بحماسة (صبري، 2019، ص67).

ويتحقق التواصل في الخطاب الشعري "عندما يتأثر القارئ المتلقي برسالة الشاعر، وما يقوم به من سلوكيات ينتج عنها تواصل بين طرفين؛ لأن الشاعر لا يكتب دون أن يوجه كلامه إلى متلق معين حتى وإن كان افتراضيًّا، إضافة إلى هذا ما يحمله الخطاب الشعري من إثارة شعرية في المتلقي، والتي بسببها يحصل الإمتاع والإقناع لديه، عندما يفهم قصد الشاعر ويتأثر به" (ثامر، 2021، ص 1117)؛ وتبعًا لذلك تتحصل النواحي الإخبارية، والإقناعية، والتوجيهية، والتأثيرية المنوطة بالخطاب الشعري في سياقه اللغوي.

أما نشيد (النيل)؛ فهو من أكثر الأناشيد التي لقيت ذيوعًا وتقديرًا لدى المتلقين، وقد تغنى به أطفال المدارس في مناسباتهم واحتفالاتهم، كتبه أحمد شوقي بوصف جميل، ولغة بسيطة دون تعقيد لغوي؛ قاصدًا بذلك تعميق صورة النهر ومكانته في حياة المصريين عامة، وإيضاح ذلك لدى الأطفال واليافعين بخاصة (زلط، 1994، ص 135)؛ إذ يقول:

النيـــلُ العَـــذبُ هُـــوَ الكَـــوثَر ... وَالجَنَّـــةُ شـــاطِئُهُ الأَخضَـــر
رَيّـــانُ الصَـــفحَةِ وَالمَنظَـــر ... مـــا أَبهـــى الخُلـــدَ وَمـــا أَنضَـــر

تأتي هذه المقطوعة الشعرية في سياق الفخر بالنيل، وتعريف الأطفال بأهمية وجوده للمصريين، وقد وظف شوقي الحكاية الرمزية في وصفه للنهر بالجنة، والخلد، والكوثر؛ وفي ذلك إحالة دلالية إلى القدسية التي تحيط بهذا النهر من قبل المصريين؛ إذ كانت هنالك أسطورة قديمة تقول إن النيل ينبع من الجنة، لا من هضبة البحيرات في إفريقيا. وهذا الخطاب

الموجه من شوقي يتضمن افتراضًا مسبقًا هو تعداد مآثر النيل وخيراته العظيمة، وقد استعمل عدة تراكيب وبنى لغوية تعد افتراضات، مثل صيغة التعجب في قوله (ما أبهى الخلد، وما أنضر)؛ إذ يتضح القصد مباشرة دون إعمال ذهني، بلغة واضحة يتطابق فيها معنى سطح القول، مع المعنى الضمني له. وقد أراد المرسِل من هذا الفعل التأثير في المخاطَب لإدراك قيمة المُتعجب منه.

كما استعان الشاعر بالكناية في قوله: (رَيّانُ الصَفحَةِ وَالمَنظَر)؛ كناية عن صفة الامتلاء والوفرة، وقيمتها التداولية التي تتمثل في إقناع المتلقي بقصد المرسل.

إن مقام النيل في نفوس المصريين إلى جانب إدراك خيراته على المجتمعين المحلي والعالمي هو شروط أسهمت في عملية إنتاج هذا النص وتلقيه؛ حيث إن طرفي الخطاب بينهما معرفة مسبقة؛ ومن ثم يظهر بوضوح أن هذا الخطاب التداولي له معنى محدد.

ونلحظ شيوع صوت النون الجهري في القصيدة؛ حيث يُرى أن أحمد شوقي قد قدم تَجربةً شعريةً تتناسب مع جمهور الأطفال؛ فالطفل يستمتع بالقصائد التي تتسم بالحركة ذات الإيقاع السريع، وينسجم معها، كما أن صوت النون الذي طغى على القصيدة، يتسم بالوضوح السمعي، وكثرة دورانه في اللغة؛ مما يكوّن أُلفةً بينه وبين الطفل (زلط، 1994، ص 91).

ونجد في حكايته الشعرية (النملة والمقطم) البيت:

صاح لا تخش عظيمًا فالذي في الغيب أعظم

إنّ الناظر في البيت السّابق يجد أنّ الشّاعر وظف أسلوبين إنشائيين من الإنشاء الطلبي وهما النداء والنهي، وذلك من خلال الفعل الإنجازي بأسلوب النداء (صاح)، وأسلوب النهي (لا تخش)؛ حيث خرجا من معنييهما السطحيين: طلب الإقبال، والترك، إلى معنيين يحيل إليهما السياق الموقفي، وهو التحذير، وتكمن قيمتهما التداولية في غرض تواصلي هو عدم التركيز على المخاوف والانشغال بها؛ فذلك قد يعرض لخطر أكبر مما يُخشى منه.

وفي البيت الشعري:

فقالت الأم: يا للفخر كان أبـي حُـرًّا، وكـان وفيـا طائل الباع

إن استعمال المرسل لأسلوب النداء (يا للفخر) كان مستهلًّا لكشف البعد السلوكي المعني بالفخر، ويتمثل في تمثل قيم الحرية والوفاء والجود، وهذه الصفات مدعاة للتباهي والتفاخر؛ وعليه فإن قيمة النداء التداولية هي الخروج من المعنى الحقيقي للنداء، وهو طلب الإقبال، إلى التفاخر بالقيم النبيلة.

وفي البيت التالي:

فقام راعي الحمى المرعي منذعرًا يقول: أين كلابي؟ أين مقلاعي؟

2-3 الأقوال المضمرة في أساليب البديع التلميحية

نجد التورية حاضرة في شعر شوقي الموجه للأطفال، ومن ذلك في قصيدة نديم الباذنجان: عبارة "يصيح بالناس أنا أنا أنا" إذ يمكن أن يُفهم أن هناك توريةً في الصياح؛ حيث يحمل معنى قريبًا هو الفخر أو الاستعراض، ولكن قصد المرسل غير ذلك؛ وهو القيمة التداولية لاستعمال التورية في خطابه؛ حيث أراد أن يوصل للمتلقي معنىً بعيدًا يكمن في التكبر والغرور.

وأيضا في قوله: "يَصيحُ بِالناسِ أَنا أَنا أَنا": هذه العبارة قد تحمل تورية عن الفخر أو الثقة بالنفس في معناها الظاهر القريب، ولكنها تحمل قيمة تداولية تعبر عن رغبة في الاعتراف وإثارة انتباه الآخرين، وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب.

كما حضرت تقنية التعريض في قصائد شوقي الموجهة للأطفال، ومن ذلك في قصيدته نديم الباذنجان: "لا يعرف الناس له الفتوة". فهنا تعريض بمدّعي القوة من خلال سلوك الرجل الضخم الذي يصيح بالناس ليثير الرعب فيهم؛ فأظهر الشاعر في خطابه أن البطل الصغير لم يُشَع ولم يُعرف عنه أنه بطل؛ وهنا يريد الشاعر إيصال معنى تداولي يكمن في عدم تصديق الظاهر والشائع دون تحقق؛ فالفعل هنا كذّب مزاعم المدعي وأظهر ضعفه.

وفي قصيدة الحكايات نجد تعريضًا بالمظهر الخارجي: "لا يعرف الناس له الفتوة"، و"ليس ممن يدّعون القوة" يشير إلى الإشادة بالصبي البطل رغم صغر جسمه، وأن ضخامة الهيئة ليست رديفةً للقوة؛ حيث يُظهر السياق استعراض الرجل الضخم وصياحه ليرعب من يصيح به، مفتعلًا دور البطولة؛ أما الدلالة القصدية التواصلية فهي أن القوة ليست في المظهر أو الادعاءات فحسب، بل في الفعل والصدق في المواقف.

ونلاحظ حضور التعريض في قصيدة دودة القز، في قوله:

أنا المؤمل نفعي أنا الشهير وفائي

فموضع التعريض جلي في الجملتين (أنا المؤمل نفعي، الشهير وفائي)؛ فالمعنى الظاهر إثبات النفعية والوفاء للمتحدثة وهي دودة الضوء المغترة بمظهرها، وذلك على خلاف الحقيقة؛ فالمعنى البعيد هو إثبات المفارقة بين دودة القز، التي تعمل بصمت وتنتج الحرير، وبين الدودة المضيئة التي تكتفي بإظهار النور دون إنتاج نافع؛ فالشاعر يروم قصدًا تواصليًّا، وهو أن الجمال الظاهري بدون فائدة عملية لا يُقارن بالعمل الصامت المنتج.

وفي قصيدة البغل والجواد:

لَم أَرَ رَقصَ البَغلِ تَحتَ الغازي لَكِن سَمِعتُ نَقرَةَ المِهمازِ

يستخدم شوقي التعريض في إيصال نقده اللاذع للمواقف والسلوكيات القائمة على الجهل المركب؛ فالبغل هنا ليس مجرد حيوان، بل هو رمزٌ للشخص الذي يتشبث بصفاته السلبيّة دون وعي؛ فالتعريض بالفعل التأثيري (لم أر) جاء للإحالة إلى معنى بعيد، وهو إبراز التناقض بين سلوك البغل وما يتعرض له من "حوادث"، في إشارة ضمنية إلى أن عناده وإصراره على طريقته المتعامية عن إدراك الحقيقة يؤديان حتماً إلى نتائج سلبية؛ وهي القيمة التداولية للتعريض.

ومن آليات شوقي في التعبير عن مراده في شعره الموجه للأطفال تقنية الحذف؛ ففي قصيدة (أنت وأنا) حُذِفت بعض الكلمات التي قد تكون زائدة؛ مما يجعل المعنى أكثر تركيزًا، مثل حذف المسند إليه "هو" في قوله: "يصيح بالناس"؛ وذلك لظهوره بدليل القرينة السياقية حيث يفهم المعنى من السياق. وقيمة الحذف التداولية التواصلية التحقير من فعل المدعي للقوة على خلاف حقيقته.

ونجد تقنية الحذف تحضر في قصيدة الغزالة والأتان؛ حيث ظهر الحذف في أسلوب الحوار، إذ يُترك للقارئ استنتاج بعض المعاني دون أن تُذكر صراحة. وذلك حيث تتحدث الغزالة عن مزاياها وتلمّح إلى عيوب الأتان، ويكون الحذف في ذكر هذه العيوب بشكل مباشر؛ مما يجعل القارئ يستنتجها ضمنًا.

وفي قوله في قصيدة النيل:

البَحرُ الفَيّاضُ القُدسُ الساقِي الناسَ وَما غَرَسوا

حذف الشاعر الاسم أو الضمير الذي يشغل وظيفة المبتدأ الذي يحيل على نهر النيل، واكتفى بذكر صفاته، لا سيما (البحر الفياض، القدس، الساقي) بوصفها خبرًا متعددًا للمبتدأ المحذوف؛ وفي تشكيل هذه البنية التركيبية دلالة تواصلية هي

تفخيم المحذوف وتعظيمه في نفس المخاطب بصفات بارزة لنهر النيل. وتأتي أهمية الحذف من كون المرسل يفترض معرفة المكون المحذوف في سياقه التداولي.

كما وظف أحمد شوقي الرمز في قصائده الموجهة للأطفال للسخرية من واقع الحال الذي يعيشه ويراه؛ فيقول في وصف الطفل: "صغير جسم بطل قوي". قد يكون هناك سخرية من الفكرة التقليدية الشائعة للبطل؛ حيث وظفها شوقي لإيصال معنى تداولي تواصلي يتجاوز المقطع، أو إثبات التضاد بين حالتين، ولكنها، أي السخرية، تكمن في تقديم الحجة المضادة بهدف إقناع المتلقي بفكرته المتمثلة في كون البطولة مواقف حقيقية، وأنها لا تطرد مع ضخامة الأجسام.

وفي حكاية دودة القز والدودة الوضاءة نجد حضورًا للسخرية في كلام الدودة المضيئة عندما تتفاخر بجمالها ونورها:

أَنا المُومَّلُ نَفعي أَنا الشَهيرُ وَفائي

لكن دودة القز ترد عليها بشكل غير مباشر؛ مما يجعل القارئ يشعر بسخرية منطقية من الغرور بلا إنتاج؛ إذ يمكن عدّ تفاخُر الدودة الوضّاءة بنفسها نوعًا من السخرية التي تعكس واقع بعض البشر الذين يهتمون بالمظاهر دون الجوهر؛ إذ عمد المرسل إلى إثبات حجته من خلال خلق مفارقة تعمق الأحداث، وتشد انتباه المتلقي ليقتنع بقضيته التي تمثل معنىً تواصليًّا تداوليًّا ينفر من سلوك الدودة الوضاءة المغترّة بشكلها؛ والحث على العمل الحقيقي.

وفي قصيدة الغزالة والأتان نجد حضورًا للسخرية التي تظهر في الفرق الكبير بين الشخصيتين؛ فالغزالة رشيقة وجميلة، بينما الأتان بطيئة وغير جميلة، ومع ذلك تحاول التفاخر والمقارنة. فشوقي يستخدم هذا التناقض ليُظهر السخرية من بعض البشر الذين لا يدركون قدراتهم الحقيقية ويضعون أنفسهم في مواقف لا تليق بهم.

وتظهر السخرية في قصيدة البغل والجواد؛ إذ تعد السمة الأبرز في هذه القصيدة؛ حيث يتهكم الشاعر على شخصيات ترفض التعلم من أخطائها أو تحمُّل مسؤولياتها؛ فيُبرز شوقي بسخرية المواقف التي يتعرض لها البغل؛ مما يجعل القارئ يدرك أن الثبات على المواقف الخاطئة لا يؤدي إلا إلى الوقوع في مآسٍ واضحة. أما على المستوى التداولي فإن المرسل قد اختار هذه الآلية؛ لأن القصد هو نقد اجتماعي ضمني للمجتمعات أو للأفراد الذين يتصرفون بعناد، ويرون ذواتهم بمباهاة خادعة.

مما سبق يتضح أن شوقي في قصائده الموجهة للأطفال واليافعين لجأ إلى العديد من البنى المضمرة، التي تنمُّ عن أسلوب إضماري وظّف فيه البلاغة والخطاب الشعري وقدراته اللغوية، وما لديه من ذخيرة تراثية، ومن أهم تلك البنى الإضمارية:

- التصوير الفني من خلال التشبيه، والاستعارة، والتجسيد، والكناية؛ لإبراز المعاني المقصودة.
- الأساليب الإنشائية، وأفعال الكلام؛ وذلك للتأثير في المتلقي وحمله على المعنى المراد.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1- لجأ شوقي إلى الأقوال المضمرة؛ لتحقيق مقاصد تداولية تواصلية تعكس أفكاره وأهدافه التي تخدم إنتاجه الشعري الموجه للأطفال واليافعين.

2- يعتمد استجلاء الأقوال المضمرة في أشعار شوقي الموجهة للأطفال واليافعين على خاصية الإقناع؛ وذلك بهدف تحقيق المقاصد الإخبارية والتوجيهية والتأثيرية.

3- وعي شوقي بأهمية عناصر إنتاج الخطاب وتوظيفها؛ لتحقيق عامل التأثير في المتلقي لأشعاره.

4- يعد شعر شوقي الموجه للأطفال ملائمًا لدراسة الأقوال المضمرة من وجهة نظر تداولية؛ لتوفر أسس تطبيق النظرية، مثل: الافتراض المسبق، وملاءمة السياق، والفعل التأثيري، وآليات الإقناع.

5- يتجلى من الأفعال الكلامية في شعر شوقي الموجه للأطفال عنايته بالجوانب التأثيرية والإنجازية لإحداث التغيير في الدلالة.

6- يظهر من توظيف الأقوال المضمرة في شعر شوقي الموجه للأطفال غلبة الكناية؛ وذلك لتقريب المعنى بما يتناسب مع تلقي الأطفال واستيعابهم للمعاني المجردة.

7- وظف شوقي الصور الفنية في شعره الموجه للأطفال لتحقيق أهداف تربوية، واجتماعية، وتعليمية تقوم على لفت الانتباه للقيم النبيلة، والسلوكيات الحسنة، على مستوى الأفراد والمجتمعات.

المراجع

البحلة، ع. م.، وعصبة ع. ع. (2019). التعبير الإشاري في (الطرفة الذمارية). *مجلة الآداب*، (11)، 46-83. https://doi.org/10.35696/.v1i11.603

الجرجاني، ع. (د.ت). *دلائل الإعجاز*، مكتبة الخانجي.

الجعيد، ب. ب. م.، والقرني ح. ب. م. (2023). القصدية في أخبار خلفاء ووزراء العصر العباسي دراسة تداولية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *5*(2)، 344–376. https://doi.org/10.53286/arts.v5i2.1503

جلولي، ا. (2008). الشعر الموجه للأطفال: المصطلح وإشكالية المعايير، *الأثر*، (7)، 141-146.

الحاج، ذ. ح. (2015). *التداولية وإستراتيجية التواصل* (ط1)، رؤية للنشر والتوزيع.

حساني، أ. (1993). *المكون الدلالي للفعل في اللسان العربي*، ديوان المطبوعات الجامعية.

زلط، أ. (1994). *أدب الأطفال بين شوقي وعثمان جلال* (ط.1). دار النشر للجامعات المصرية.

صحراوي، م. (2005). *التداولية عند العلماء العرب* (ط.1). دار الطليعة.

طه، ن. ح. (2020). تداولية الإشاريات في قصة موسى عليه السلام، *مجلة العلوم التربوية والإنسانية*، (1)، 45-56.

عبدالعزيز، ع. ص. (2020). العناصر الإشارية في قصيدة "ارحل وعارك في يديك" لفاروق جويدة: دراسة تحليلية، *مجلة الدراسات العربية*، (22)، 106-147.

علي، م. م. ي. (2007). *المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية*، دار المدار الإسلامي.

غيطاس، م. ف. م. (2015). الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي، *مجلة الدراية*، (15)، 106-208.

فاين، د. (2000). *النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي*، أفريقيا الشرق.

القباطي، إ. ع. ا. (2021). الإشاريات في سورة مريم: دراسة تداولية. *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، (8)، 200–228. https://doi.org/10.53286/arts.v1i8.295

مانغونو، د. (2008). *المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب* (ط1). الدار العربية للعلوم ناشرون، ومنشورات الاختلاف.

محمد، ن. س. أ. (2021). القصدية والأقوال المضمرة، *مجلة كلية الآداب*، (60)، 161-186.

المنيهلاوي، ع. ك. ح. (2018). *الأبعاد التداولية في تفسير فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للطيّبي* [أطروحة دكتوراه غير منشورة]، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العراق.

ميلودي، م. (2024). مظاهر تعدد المصطلح التداولي في الكتابة اللسانية العربية، *مجلة موازين*، 6(2)، 87-96.

واصل، ع. (2020). الأفعال الكلامية في ديوان أبجدية الروح، *مجلة طلائع اللغة وبدائع الأدب، 1* (1)، 74-98 .

يول. ج. (2010). *التداولية* (ط.1). الدار العربية للعلوم ناشرون، ودار الأمان.

ابن يونس، ش. (2021). الأقوال المضمرة في خطاب المثل الشعبي العربي: مقاربة تداولية، *مجلة فصل الخطاب، 10* (1)، 53-80.

References

Al-Bahla, A. M., & Asaba, A. A. (2019). The Indicative Expression in (Thamarian joke). *Journal of Arts*, (11), 46–83. https://doi.org/10.35696/.v1i11.603

Al-Jurjani, A. (n.d.). *Dalā'il al-I'jāz* [The proofs of inimitability]. Al-Khanji Library.

Al-Juaid, B. bint M. ., & Al-Qarni, H. bin M. . (2023). Intentionality in Anecdotes of Abbasid Caliphs and Viziers A Pragmatic Study. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *5*(2), 344–376. https://doi.org/10.53286/arts.v5i2.1503

Jallouli, I. (2008). *Poetry addressed to children: Terminology and the problem of standards*. Al-Athar, (7), 141–146.

Al-Hajj, D. H. (2015). *Pragmatics and communication strategy* (1st ed.). Ru'ya Publishing and Distribution.

Hassani, A. (1993). *The semantic component of the verb in the Arabic language*. University Publications Office.

Zallat, A. (1994). *Children's literature between Shawqi and Othman Galal* (1st ed.). Egyptian Universities Publishing House.

Sahraoui, M. (2005). *Pragmatics among Arab scholars* (1st ed.). Dar Al-Taliaa.

Taha, N. H. (2020). *Deixis pragmatics in the story of Moses (peace be upon him)*. Journal of Educational and Human Sciences, (1), 45–56.

Abdulaziz, A. S. (2020). *Deictic elements in Farouk Goweda's poem "Leave, and your disgrace is in your hands": An analytical study*. Journal of Arabic Studies, (22), 106–147.

Ali, M. M. Y. (2007). *Meaning and shades of meaning: Systems of signification in Arabic*. Al-Madar Al-Islami Publishing.

Ghaitas, M. F. M. (2015). *Rhetoric and pragmatics: Toward a procedural tool for receiving the rhetorical text*. Al-Diraya Journal, (15), 106–208.

Fine, D. (2000). *Text and context: A study of semantic and pragmatic discourse*. Afrique-Orient.

Al-Qubati, . E. A. (2021). Refrences in Surat Mariam: A Delibrative Study. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *1*(8), 200–228. https://doi.org/10.53286/arts.v1i8.295

Mangono, D. (2008). *Key terms for discourse analysis* (1st ed.). Arab Scientific Publishers and Al-Ikhtilaf Publications.

Mohamed, N. S. A. (2021). *Intentionality and implicit utterances*. Journal of the Faculty of Arts, (60), 161–186.

Al-Munihilawi, A. K. H. (2018). *Pragmatic dimensions in the exegesis of Fatuh al-Ghayb fi al-Kashf 'an Qinā' al-Rayb by Al-Tayyibi* [Unpublished doctoral dissertation]. College of Education, Al-Mustansiriya University, Iraq.

Meloudi, M. (2024). Manifestations of the multiplicity of pragmatic terminology in Arabic linguistic writings. *Mawazin Journal*, *6*(2), 87–96.

Wasel, E. (2020). Speech Acts in the collection poems: Abgadeyat Al-Rroh "Alphabet of the Spirit", *Journal of the Vanguards of Language and the Marvels of Literature*, *1*(1), 94-98

Yule, G. (2010). *Pragmatics* (1st ed.). Arab Scientific Publishers and Dar Al-Amān.

Ibn Yunus, Sh. (2021). *Implicit utterances in the discourse of the Arabic folk proverb: A pragmatic approach*. Fasal Al-Khitab Journal, 10(1), 53–80.